رسائل عاجلة

وبالوالدين إحساناً

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

إن الله - تبارك وتعالى - لما خلق الإنسان خلقه من والـدين: أبٌ وأمٌ, وأمره بطاعتهما، والإحسان إليهما فقال الله - تبارك وتعـالى -: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْـناً وَأَقِيمُـواْ الصَّـلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ}[1]، وقال ربنـا - تبارك وتعالى -: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْـرِكُواْ بِـهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُـواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَـرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُـواْ الْفَـوَاحِشَ مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَـا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُـواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ}[2]، ففي هـاتين الآيـتين يقـرن اللـه - تبـارك وتعـالى - طاعـة الوالـدين بطاعته - سبحانه وتعالى -.

ومما يـدل أن على الإنسـان المسـلم أن يحسـن إلى والديـه في حياتهما, وأن يدعو الله - تبارك وتعالى - لهمـا بعـد موتهمـا لأن ذلـك من الإحسـان إليهمـا بعـد المـوت, وينهى عن إيـذائهما ولـو بأبسـط شيء كقول الإنسان لهما: "أف" وهي كلمة تضجر، ويأمره أن يقـول لهما قولاً ليناً كريماً قول الله - تعـالى -: {وَقَضَـى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَـا فَلاَ تَقُل لَّهُمَـآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَـا وَقُـل لَّهُمَـا قَـوْلاً كَرِيمًا}[3]، وقـال اللـه - تبارك وتعالى -: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَـرْجِعُكُمْ فَـأُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ}[4]، فهـذه الآيـة تـبين أن طاعـة الوالـدين تكـون في غـير معصية, وإذا أمرا بمعصية فلا طاعة لهمـا، إذ لا طاعـة لمخلـوق في معصية الخالق قال الله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـانَ بِوَالِدَيْـهِ حَمَلَتْـهُ أُمُّهُ وَهْنًـا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِـيرُ * وَإِن جَاهَـدَاكَ عَلى أَن تُشْـرِكَ بِي مَـا لَيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَـا وَصَـاحِبْهُمَا فِي الـدُّنْيَا مَعْرُوفـًا وَاتَّبِـعْ سَـبِيلَ مَنْ أَنَـابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[5]، وقـال اللـه - تبـارك وتعـالى -: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْـهِ إِحْسَـانًا حَمَلَتْـهُ أُمُّهُ كُرْهًـا وَوَضَـعَتْهُ كُرْهًـا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَـغَ أَشُـدَّهُ وَبَلَـغَ أَرْبَعِينَ سَـنَةً قَـالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَـكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْـلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْـكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْـلِمِينَ}[6]؛ فهــذا أمــر من اللــه - تعــالى - بالإحســان إلى الوالدين, وأن طاعتهما سبب في دخول الجنة، وقد أكد ذلك ما جـاء في حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه -: أن رجلاً أتـاه فقـال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ قـال أبـو الـدرداء: سـمعت رسـول

الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو أحفظه))[7]، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان، فقال لها (أي لعائشة - رضي الله عنها -) رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((كذاك البر، كذاك البر، وكان أبر الناس بأمه))[8].

وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن البر من أفضل الأعمال وأحبها عند الله - تعالى - فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) قال: ثم أي؟ قال: ((ثم بر الوالدين)) قال: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني"[9]؛ وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: ((أمك))، قال ثم من؟ قال: ((ثم أمك))، قال: ثم من؟ قال: ((ثم أمك))، قال: ثم من ؟ قال: ((ثم أبوك))[10].

أخي في الله:

عليك ببر الوالدين كليهما وبرِّ ذوي القربى وبرِّ الأباعدِ

ولا تصحبن إلا تقياً مهذباً عفيفاً ذكياً منجزاً للمواعدِ[11]

وهاك أخي في الله بعض فوائد بر الوالدين:

1. بر الوالدين سبب في دخول الجنة كما تقدم.
2. وبر الوالدين سبب في إطالة العمر لحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه))[12].
3. ومنها: أن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله كما تقدم.
4. ومنها: إجابة الدعاء، فقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه: "باب إجابة دعاء من بر والديه"، ثم ذكر حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة: قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأة، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت لهما، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل صبيتي، وإنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحِلاب،

وقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكــره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي - يصـيحون ويبكـون من الجـوع - فلم يــزل ذلــك دأبي ودأبهم حــتى طلــع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فـافرج لنــا منها فرجة نرى منها السماء، ففـرج اللـه منهـا فرجـة، فرأينـا منها السماء))[13]**.**

فنسأل الله - تبارك وتعـالى - أن يمنَّ علينـا بطاعـة والـدينا وبرهمـا أحياءً وأمواتاً، وأن يغفر لنا ولهم إنه على كل شيء قـدير، والحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسـلين نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

1 **سورة البقرة** (83).

2 **سورة الأنعام** (151).

3 **سورة الإسراء** (23).

4 **سورة العنكبوت** (8).

5 **سورة لقمان** (14-15).

6 **سورة الأحقاف** (15).

7 **رواه الترمذي في سننه برقم** (1900)**، وقـال**: **وهـذا حـديث صـحيح؛ وابن ماجـة بـرقم** (2089) **وبرقم** (3663)**؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم** (1699)**، وبرقم** (2955)**؛ وفي السلسة الصحيحة برقم** (914).

8 **رواه أحمد في المسند برقم** (25223)**، وقال شـعيب الأرنـاؤوط**: **إسـناده صـحيح رجالـه ثقات رجال الشيخين؛ والحاكم في المستدرك برقم** (7247)**، وقال**: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم** (913).

9 **رواه البخاري في صحيحه برقم** (504)**؛ ورقم** (5625)**؛ ومسلم برقم** (85).

10 **رواه البخاري في سننه برقم** (5626)**؛ ومسلم برقم** (2548).

11 **انظر الترغيب والترهيب للمنذري** (331).

12 **رواه البخاري في صحيحه برقم** (5640)**؛ ومسلم برقم** (2557).

13 **رواه البخاري في صحيحه برقم** (2208)**، وبرقم** (5629)**؛ ومسلم برقم** (2743).